مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية | المجلد 16 العدد 2 (السداسي الأول 2024م)، ص. 489 – 514

الأنصاص القرآنية و سبل الالتزام بها في المدارس القرآنية

المدرسة التلمسانية أنموذجا

Qur'anic Insinuation and Ways of Applyingit in Qur'anic Schools Tlemcen as a Model

حمزة بن علال*

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، aboumina@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2023/03/17 تاريخ القبول: 2023/12/26 تاريخ النشر: 2024/06/30

ملخص:

تتحدث هذه الدراسة عن أهمية الأنصاص القرآنية ودور المدارس القرآنية في الحفاظ عليها كتراث علمي ووطني له دور في الحفاظ على الرسم العثماني يجب الالتزام و الاعتناء به، وقد تمثلت إشكالية الدراسة فيماهية هذه الأنصاص وأهم السبل للالتزام بها في المدارس القرآنية وبالأخص المدرسة التلمسانية، كما تهدف إلى بيان أهمية هذه الأنصاص ودورها الفعال في الحفاظ على الرسم العثماني، وإلى بيان أهمية سبل الالتزام بها كونها تعد تراثا وطنيا ومرجعية علمية وفكرية، وقد تناولت الدراسة الجوانب البحثية التالية: التعريف بالتعليم القرآني في المدرسة التلمسانية ثم الإشارة إلى ماهية الرسم العثماني وأهم التآليف التلمسانية فيه، ليأتي الحديث بعد ذلك عن ماهية الأنصاص القرآنية وأهم ما يتعلق بها، وعن منهجية المدارس القرآنية التلمسانية في تعليمها وتحفيظها وسبل الالتزام بها كتراث علمي .

وقد اقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي والتاريخي للوصول إلى نتائج البحث والمتمثلة في أن الأنصاص القرآنية أسهمت في الحفاظ على الرسم العثماني وأنها تراث شفوي يتداول عن طريق الذاكرة والحفظ كما أنه معزز بالكتابة والتدوين، وأهم المهتمين به هم المشايخ (الفقهاء) الكبار دون الصغار، كما أن للمدرسة التلمسانية إرث في هذا الفن ومنهجية خاصة في تعليمه وحفظه وما على المهتمين به إلا الالتزام به ورعايته من الضياع وذلك باحترام سبل الالتزام به وتطبيقه على أرض الواقع وبالتالي يحفظ التراث وتعزز المرجعية و تتوارث الأجيال هذا الفن جيلا بعد جيل.

الكلمات المفتاحية: الأنصاص القرآنية، المدارس القرآنية، الرسم العثماني، تلمسان.

* المؤلف المرسل

Abstract :

This study deals with importance of qur'anic insinuations and the role of qur'anic Schools to keep it as an scientific and national heritage .

The problematic of studyis to define the qur'anic insinuations and how to apply them in qur'anic schools in Tlemcen.

The study is based on descriptive and analytical and historian methods to achieve the goals that illustrate qur'anic insinuations which saved ottoman calligraphy in qur'anic schools in Tlemcen which represents a real model to keep this heritage.

The study focuses on the role of Tlemcen schools in teaching and saving this heritage and pay the attention of researchers in ways and methods to apply these Qur'anic Insinuations specially for the new generations.

Keywords: Qur'anic Insinuations, QUR'ANIC Schools, Ottoman Calligraphy TLemcen .

1- مقدمة:

من أهم علوم القرآن التي يعنى بها طلبة العلم في حفظهم للقرآن الكريم علم الرسم و الضبط أو بالأحرى حصر تلك الكلمات القرآنية الخارجة عن القياس في رسمها وضبطها وكيفية أدائها وفي متشابهها مع حفظ المنظومات العلمية الخاصة بهذا العلم قصد تثبيته و إدراكه جيدا وعلى رأس هذه المنظومات مورد الظمآن للخراز وعقيلة أتراب القصائد المعروفة بالشاطبية الصغرى وغيرها كثير، كما لا ننسى حفظ الأنصاص القرآنية التي حلّت محلّ هذه المنظومات بعدما فقدت حيويتها وقلّ الإقبال عليها وكان لها الأثر الكبير في الحفاظ على الرسم العثماني خاصة وقد تصدر لحفظها وتعليمها مشايخ أفنوا حياتهم في تعليم القرآن الكريم و تعليم طلبة العلم هذا الفن فأصبحوا كالبدور في علو منزلتهم وغزارة علمهم و كثرة الانتفاع بهم.

من خلال هذه الافتتاحية يتبين لنا أهمية الموضوع و مكانته العلمية فموضوع الأنصاص القرآنية علاوة على كونه يتعلق بالقرآن الكريم وله دور كبير في الحفاظ على الرسم العثماني، فهو أيضا يعد تراثا شفويا ينتقل عبر الأجيال بالسند المتصل و مرجعية

وطنية يجب الحفاظ عليه، ونحن من خلال هذه الدراسة نحاول أن نحافظ عليه ونبين أهمية دراسته و توريثه للأجيال الصاعدة.

انطلاقا مما سبق تأتي هذه الدراسة لتتحدث عن إشكالية ماهية هذه الأنصاص وأهم الطرق أو السبل للالتزام بها في المدارس القرآنية و بالأخص في المدرسة التلمسانية،و ستتفرع عنها عدة إشكالات فرعية سنراها متجسدة في عناصر هذا البحث .

أسئلة عديدة تسعى الدراسة للإجابة عنها، وذلك تحقيقا لما يلي من الأهداف :

- بيان دور الأنصاص القرآنية في الحفاظ على الرسم العثماني.
- التأكيد على أهمية تعليم و حفظ الأنصاص القرآنية و إحيائها في عملية التعليم القرآني.
- الدعوة إلى الحفاظ على الأنصاص القرآنية لكونها تراثا ومرجعية وطنية تُحفظ للأجيال .
- العمل على الالتزام بالسبل التي تجعلنا نحافظ على هذا التراث .

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي والتاريخي للوصول إلى نتائج البحث والتي سنراها مجسدة في خاتمة هاته الدراسة، والتي ننوه من خلالها أنها ستتقيد بموضوع الرسم العثماني دون غيره من المواضيع الأخرى المتعلقة بالأنصاص القرآنية مع الإشارة إلى بعض الأنصاص الخاصة بالضبط و المتشابه.

وكمدخل سنعرج أولا على التعليم القرآني في المدرسة التلمسانية و بعده نتحدث عن ماهية الرسم العثماني و أهم التآليف العلمية التلمسانية في هذا الفن، وأخيرا نتطرق إلى ماهية الأنصاص القرآنية وسبل الالتزام بها .

2- التعليم القرآني في المدرسة التلمسانية :

لا غرابة أن المدرسة التلمسانية كغيرها من المدارس الجزائرية والمغاربية اهتمت بالقرآن الكريم تعلما وتعليما، قراءة وإقراء، فمنذ أن دخل الإسلام أرضها الطاهرة وترسخت فيها عقيدة الإسلام إلى وقتنا الحاضر لا تكاد تجد حيا إلا وفيه مدرسة قرآنية تُدرس القرآن الكريم وعلومه مع الحرص التام على تحفيظه للأطفال الصغار منذ نعومة أظافرهم، أضف لذلك اهتمام الأمراء والسلاطين خاصة في العهد الزياني والمريني بالقرآن الكريم و أهله، وكذا في العصر الحديث خاصة بعد الاستدمار الفرنسي واهتمام الدولة الجزائرية ممثلة في قطاع الشؤون الدينية و حرصهم على فتح المدارس القرآنية، وتكثير حملة القرآن الكريم و إجراء المسابقات التي تهتم بالحفظ و التجويد، مع حرص الناس أيضا والجمعيات المدنية على ذلك، كل ذلك خدمة للقرآن الكريم و أهله و ابتغاء الأجر .

وقد سجل ابن خلدون لأهل تلمسان والمغرب حرصهم على التعليم القرآني ونصرهم لدين الله وهو المقيم معهم فترة من الزمن يقول: ((وأمّا إقامتهم لمراسم الشريعة، وأخذهم بأحكام الملة، ونصرهم لدين الله، فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين كتاب الله لصبيانهم، والاستفتاء في فروض أعيانهم واقتفاء الأئمّة للصلوات في بواديهم، وتدارس القرآن بين أحيائهم، وتحكيم حملة الفقه في نوازلهم وبيعهم النفوس من الله في سبيله وجهاد عدوه ما يدلّ على رسوخ إيمانهم وصحة معتقداتهم، ومتين ديانتهم التي كانت ملاكا لعزهم، ومقادا إلى سلطانهم وملكهم)).[1]

وهذا دكتورنا عبد الرحمان طالب - رحمه الله – يتكلم عن الطريقة المتبعة في حفظ القرآن الكريم والتي تميز بها أهل تلمسان: ((وبدؤوا في تعليمه للصبيان حسب الطريقة التي تلقوه بها، مستعملين اللوح ونوعا من المداد التقليدي المصنوع من صمغ الأشجار أو من الصوف؛ يكتبون بأقلام القصب على اللوح مقدارا من القرآن بطريق التهجي والإملاء؛ وبعد حفظه يمحى اللوح بالماء؛ وغسّالة المحو تهرق في مكان بعيد عن مواطئ الأقدام، احتراما لقداسة حروف القرآن)).[2]

[1]- عبد الرحمان بن خلدون: ج6 ، ص 106.

[2]-طالب عبد الرحمان : ص 5.

وإذا ختم التلميذ جزءا من القرآن الكريم يقدّم الطعام إكرامًا لشيخه وأصدقائه، وإن كان فقيرًا يكتفي بتقديم الشاي، وعند الختم النهائي يكون الحفل في بيت التلميذ، فيحضر الشيخ والأصدقاء ويقرؤون القرآن ويقدّم لهم الطعام وتختم الحفلة بالدعاء للتلميذ ولأهل البيت، وكان النّاس قديماً في تلمسان يحملون من ختم القرآن على فرس ويلبسونه (البرنوس والشاشية)، يطوفون به الأحياء ويكرمونه بالمال إكراما وتشجيعا لحفظه كلام الله.[3]

هذا هو واقع التعليم القرآني في تلمسان و قد بدأت بعض آليات تعليمه تعرف اندثارا خاصة فيما يخص الطريقة التقليدية في تحفيظه وحفظ أنصاصه القرآنية و يرجع ذلك إلى عدة أسباب، ومن أراد أن يطلع أكثر على واقع التعليم القرآني في تلمسان وطرق تحفيظه يرجى الاطلاع على كتاب مسيرة الحركة الإصلاحية في تلمسان و كتابنا جهود علماء تلمسان في علوم القرآن، وفيما يلي بيان ماهية الرسم العثماني والمنظومات والتآليف العلمية التي تركها أهل تلمسان في هذا الفن .

3- الرسم العثماني و أهم المنظومات العلمية التلمسانية:

1.3ماهية الرسم العثماني:

تتعدد تسمية هذا العلم إلى عدة أسماء فمن علم الرسم أو المرسوم مطلقاً عن القيود والأوصاف، إلى التقييد بلفظة المصحف أو العثمانيّ أو الصحابة أو الاصطلاحي أو الخطّ ونحو ذلك، وسمي بالرسم العثماني نسبة إلى عثمان ﷺ لأن زيد بن ثابث والثلاثة القرشيين اتبعوا طريقة خاصة في كتابة المصحف وارتضاها لهم عثمان فنسب إليه الاسم.

يعرّف علم الرسم بأنه: ((الوضع الذي ارتضاه عثمان ﷺ في كتابة كلمات القرآن وحروفه))[4]؛ أو هو: ((علم تُعرَف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي))[5]. وجمعا بين التعريفين يمكن أن نعرفه بأنه: ((علم يختص بالكلمات القرآنية المخالفة للرسم الإملائي ومعرفة رسمها على الوضع الذي ارتضاه عثمان بن عفان-ﷺ)).[6]

---

[3] - ينظر: خالد مرزوق والمختار بن عامر: ص48.

[4] - عبد العظيم الزرقاني: ج1 ، ص 290.

[5] - عبد الواحد بن عاشر: ج1 ، ص388.

[6] - بن علال حمزة : ص 30.

ولابن الجزري تعريفا آخر مفصلا حيث يقول: ((هو خط المصاحف العثمانية التي أجمع الصحابة عليها، واعلم أن المراد بالخط الكتابة. وهو على قسمين قياسي واصطلاحي. فالقياسي ما طابق فيه الخط اللفظ والاصطلاحي ما خالفه بزيادة أو حذف أو بدل أو وصل أو فصل. وله قوانين وأصول يحتاج إلى معرفتها، وبيان ذلك مستوفى في أبواب الهجاء من كتب عربية، وأكثر خط المصاحف موافق لتلك القوانين لكنه قد جاءت أشياء خارجة عن ذلك يلزم اتباعها ولا يتعدى إلى سواها منها ما عرفنا سببه ومنها ما غاب عنا)).[7]

يبين ابن الجزري في هذا التعريف ماهية علم الرسم وماهية الخط الذي هو الكتابة، وقد قسمه إلى قسمين، وأوضح أن أغلب خط المصاحف موافق للخط الاصطلاحي واستثنى بعض الأشياء الخارجة عن ذلك الخط ألزم اتباعها و عدم تعديها لغيرها.

وقد بلغ التأليف في هذا العلم ذروته على يد شيخِ القراء وأستاذِ الأستاذين، أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (444ه)[8]، و تلميذه أبي داود سليمان بنِ نجاح (496ه). ثم أبي القاسم بن فِيرُّه بن خلف الشاطبي (590ه) ليأتي بعدهم أبو عبد الله الشريشي الشهير بالخراز (718ه) و يتحفنا بتأليف ذاع صيته في الأمصار خاصة في المغرب العربي، وهي مرحلة يمكن أن نطلق عليها بمرحلة النضج و الاكتمال لهذا العلم.

أما عن حكمه فقد اختلف العلماء في ذلك فمنهم من قال أنه توقيفي يجب الأخذ به في كتابة القرآن ونسبوا التوقيف إلى النبي -ﷺ-، والتمسوا لذلك الرسم أسرارا تجعل للرسم العثماني دلالة على معان خفية دقيقة، وذهب بعضهم إلى أنه ليس توقيفيا ولكنه اصطلاح ارتضاه عثمان ﷺ وتلقته الأمة بالقبول، فيجب الالتزام به، وذهب بعضهم إلى أنه اصطلاحي ولا مانع من مخالفته .

والرأي الراجح في ذلك كما ذهب إليه أكثر العلماء هو القول الثاني وأنه يجب كتابته بالرسم العثماني المعهود في المصحف [9].

[7]- محمد بن الجزري : ج2،ص 91.

[8]- غانم قدوري الحمد: ص:174.

[9]- للإطلاع أكثر على هذا الموضوع ينظر : منّاع القطان: ص 131-134.

ولابد قبل الدخول إلى اهتمام المدرسة التلمسانية بهذا العلم تعلّما وتعليما و تأليفا أن نعرج على فكرة توجيه ظواهر الرسم العثماني التي ظهرت في السنين الأخيرة ، وهي تتفق على أن ما في الرسم من زيادة أو حذف أو فصل أو وصل له دلالة معنوية زائدة على دلالة بنية الكلمة التي وردت فيها تلك الظاهرة ، ومن الذين تكلموا في هذا الموضوع صاحب كتاب إعجاز رسم القرآن الأستاذ محمد شملول حيث فتح باب الحديث عن التوجيه الدلالي لظواهر الرسم القرآني و يعتبر من المُحدَثين[10] ، و قد استند في كثير مما جاء به إلى نظرية ابن البناء المراكشي يقول :((الكلمة القرآنية معجزة في كتابتها ومعجزة في ترتيلها ومعجزة في بيانها، إعجاز الكتابة يظهر في تغير مبنى الكلمات القرآنية في الآيات المختلفة سواء بزيادة حروفها أو نقصها ، نطقت هذه الحروف أم لم تنطق، لتعطي آفاقا جديدة للمعاني لم يكن من الممكن إدراكها لو لم يكن هناك تغييرا عن الشكل المعتاد للكلمة))[11].

ويقول أيضا: ((وهناك كلمات قرآنية كثيرة تعرضت لها في هذا الكتاب تثبت أن مبنى الكلمة وعدد حروفها يضيف إلى المعنى القريب معاني بعيدة رائعة، كذلك فإن إعجاز كتابة الكلمة القرآنية يتمثل أيضا في أن بعض الكلمات القرآنية تأتي على رسم مختلف عن الرسم الأصلي لها، وذلك لتوحي بأن هناك قضية عظيمة يجب على قارئ القرآن الالتفات لها، وألا يمر عليها مر الكرام)).[12] فالكلمة القرآنية المخالفة في رسمها للكتابة العادية لها معان زائدة على المعاني التي تدل عليها أبنية الكلمات يجب التفطن لها واستخراج تلك المعاني وهو ما ذهب إليه ابن البناء المراكشي في نظريته، وتبعه في ذلك من اعتقد نظريته فألفت كتب ونشرت بحوث و دراسات تسير عل نفس النهج.

لقد عكفت المدرسة التلمسانية و لا تزال كغيرها من المدارس الجزائرية والمغاربية بالاعتناء بهذا العلم خاصة و أنه يتعلق بأشرف كلام، وقد تركوا في ذلك أثرا سجله التاريخ لهم كما اعتنوا بعلم الضبط وهو ليس من علم الرسم غير أنه ملازم ومكمل له.

وممن سجلوا لتلمسان و لأهل المغرب هذا الاهتمام و العناية ابن خلدون الذي مكث في تلمسان ثمان سنوات يقول :

---

[10]- غانم قدوري الحمد : أبحاث في رسم المصحف و ضبطه، ص 64.

[11]- محمد شملول: ص 8.

[12]- المصدر نفسه : ص 9.

((فأمّا أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث، ولا من فقه، ولا من شعر، ولا من كلام العرب إلى أن يحذِق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة، وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أمم المغرب في ولدانهم إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة. وكذا في الكبير إذا راجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره، فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم)) [13].

هذه شهادة من علم كبير يَعرف جيدا مذهب أهل المغرب وطريقة تعليمهم للقرآن وحرصهم على مدارسة رسمه وضبطه، ولعل من أهم أسباب بروزهم في هذا العلم تلك الطريقة المتبعة في حفظه ورسمه فهي طريقة موجودة منذ القدم ولا تزال إلى حدّ الآن، وهي الطريقة التقليدية التي تعتمد على اللوح والمداد وسيأتي الحديث عنها لاحقا، وإن كانت في طريق الاضمحلال فقد طغت عليها طرق أخرى كالحفظ مثلا من المصحف أو طباعة أثمان من المصحف المرتل ووضعه على الألواح دون كتابته، أو بطرق الذاكرة وما يسمى بالتنمية البشرية - وفي النفس كلام كثير عليها- فقد رأيناها واقعيا و لم تنجح في حفظ القرآن الكريم وربما تنجح في علوم أخرى كحفظ التاريخ والجغرافيا وتخصصات أخرى، أضف لذلك الربح السريع والمتاجرة بالقرآن الكريم.

ورجوعا إلى موضوعنا فقد ترك أهل تلمسان ممن تخصصوا في هذا العلم جملة من التآليف العلمية نحاول أن نذكرها رغم أن البعض منها في حكم المفقود.

2.3 التآليف العلمية:[14]

يحسب لأهل تلمسان أنهم تركوا بعض التآليف الخاصة بعلم الرسم سنذكر بعض ما توصلنا إليه من البحث و الاستقراء وهي على النحو التالي:

- محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ)؛ له شرح ضبط الخرّاز في الرسم، قال الملالي: ((وقد رأيته بخطه غير مكمل)).[15]

[13]- عبد الرحمان بن خلدون: ج2، ص 353.

[14]- أخذت هذه التآليف من كتابنا جهود علماء تلمسان في علوم القرآن: ص51-54.

[15]- محمد بن عمر الملالي: ص 363. ابن مريم المديوني: ص 247.

- أبو عبد الله محمد بن الحاج التلمساني؛ له تأليف في رسم القراء السبعة، [16]كما له شرح الدرر اللوامع. [17]

- محمد بن عبد الجليل التنسي (ت899هـ)؛ له الطراز في ضبط الخرّاز ، وهو شرح على ((مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن)) لصاحبها أبي عبد الله الشريشي المعروف بالخرّاز(ت 718هـ)

يقول التنسي في شرحه: ((وبعد فلما رأيت من تكلم على ضبط الأستاذ أبي عبد الله الشريشي الشهير بالخرّاز وجدتهم بين مختصر اختصارا مخلا، ومطولا تطويلا مملا، فتاقت نفسي إلى أن أضع عليه شرحا متوسطا يكون أبسط لقارئيه وأقرب لفهم طالبيه فشرعت فيه مستعينا بالله تعالى وسمّيته بالطراز في شرح ضبط الخراز)).[18]

- محمد بن محمد بن العباس التلمساني؛ له شرح في المسائل المشكلات في مورد الظمآن أجاب عنها.[19]

- أبوعبد الله محمد بن شقرون بن أبي جمعة المغراوي (ت929هـ)؛ له في رسم القرآن تقييدا على مورد الظمآن .[20]

- الشيخ أبو العباس أحمد بن رابح الطالب الحسني التيجاني الندرومي (ت1968م)؛ له عدة تقاييد لكن المختار منها تأليفان جليلان، الأولى هي شمسية الطلبة وهي عبارة عن أرجوزة بلغت 500 بيت من بحر الرجز تناول فيها المؤلف الحذف والثبت القرآني، والإمالة، وزيادة بعض الحروف وحذف البعض الآخر، وذكر كيفية رسم بعض الكلمات القرآنية وهكذا.

والثانية مجموع النصوص القرآنية في الرواية الورشية وهو مجموع يشتمل على 3115 بيتا من بحر الرجز، تناول فيه أحكام القرآن والتجويد والكلمات المكررة، ورسمُ الكلمات والزيادة والحذف وغيرهما.[21]

- الشيخ برابح بنعمر نعيم له مؤلف صغير في الرسم سمّاه الحذفية في القرآن الكريم.

---

[16]- سعيد إعراب : ص 141.

[17]- عبد الهادي حميتو: ج3، ص 223.

[18]- محمد بن عبد الله التنسي: ص 5-6.

[19]- ابن مريم المديوني: ص259.

[20]- عادل نويهض: ص 189. سعيد إعراب: ص 83.

[21]- ينظر: أحمد بن رابح الطالب: ص: ب-ج. أبو القاسم سعد الله: ج7، ص 39. طالب عبد الرحمان : ص:47

ظهرت هذه التآليف في عصرها الذهبي العلمي حيث الاهتمام بالأرجوزات والمنظومات العلمية في شتى العلوم، وهي معدودة على أهل تلمسان أما سواها فما أكثر تلك التآليف والمنظومات الخاصة بعلم الرسم و الضبط فنجد أول من كتب في هذا العلم أبو عمرو الداني له عدة كتب منها كتاب المقنع وهو كتاب مفيد عظيم و كتاب المقنع الكبير أو التحبير وهو كتاب أكبر من المقنع و أوسع منه، وله المحكم في نقط المصاحف وهو في علم الضبط، وله خلاصة المقنع.

وهذا تلميذه سليمان بن نجاح له التبيين لهجاء التنزيل وله مختصر التبيين لهجاء التنزيل، وله أيضا تأليف في علم الضبط، والشاطبي الضرير له عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد وتسمى كذلك بالشاطبية الصغرى مقارنة بلاميته حرز الأماني ووجه التهاني، نظم واختصر فيها كتاب المقنع وزاد عليه مسائل، وقد شرحها تلميذه أبو الحسن السخاوي (643هـ) في كتابه(الوسيلة إلى كشف العقيلة) .

ومحمد بن إبراهيم الأموي الشريشي المعروف بالخراز له كتبه في الرسم والضبط وعلى رأسها مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن حيث كثر شراحه لنظمه وغيرهم كثير في هذا الفن و إن كانوا أغلبهم من المدرسة الأندلسية و المغربية .

ثم تلت هذه المرحلة مرحلة التقليد وتكرير ما قيل والشرح والتعليل وفي هذا الباب يقول الأستاذ غانم قدوري الحمد يصف طبيعة التصنيف وحركة التأليف خلال هذه المرحلة: ((ونجد بعد هذه المرحلة من التأليف في رسم المصحف أنّ جهود العلماء قد تركّزت وارتبطت بعملين تعلق بهما الناس ودرسوهما، وهما قصيدتان في رسم المصحف. الأولى من نظم القاسم بن فِيرُّه بن خلف (ت في القاهرة 590هـ)، والثانية من نظم محمد بن محمد بن إبراهيم أبي عبد الله الشريشي الشهير بالخراز (ت بفاس 718هـ) . ولا يعني ذلك أنّ الجهود المثمرة قد توقفت عند ذلك الحدّ بل إنّ من بين شروح هاتين القصيدتين ما حمل إلينا نصوصا عن مؤلفات مفقودة لولاها ما وصلت إلينا، وكذلك فإنّ المؤلفات التي كتبت خارج تأثيرها لم تتوقف، إلاّ أنّ الملاحظ على كتابات الفترات المتأخرة أنها أخذت طابع الشروح، ثم اختصار تلك الشروح، في أسلوب يغلب عليه ما غلب على أساليب الفترات المتأخرة، والحقيقة هي أنّ الموضوع كان قد اكتمل أبعاده منذ فترة متقدمة فلم يكن أمام المتأخرين إلاّ التقسيم والتبويب والمقارنة والوقوف على وجوه الاتفاق والاختلاف ثم التعليل والتوجيه

من خلال تلك الشروح، بهدف عملي وهو الحفاظ على الرسم العثماني أولاً، ومعرفة صحيح القراءات ثانيا.)) اهـ[22].

أمام هذا الوضع وخاصة بعدما قل الاهتمام بالمنظومات العلمية وعدم حفظها وشرحها لطلبة العلم وما فعله الاستعمار الفرنسي بالمغرب العربي من تجهيل وطمس للهوية ومحاربة العلم وتجهيل الشعب الجزائري وبالأخص التلمساني حل محل هذه المنظومات الأنصاص القرآنية التي حاولت الحفاظ على الرسم العثماني وضبطه وفيما يلي بيان ماهيتها وسبل الالتزام بها في المدرسة التلمسانية .

4- الأنصاص القرآنية و سبل الالتزام بها:

1.4 ماهية الأنصاص القرآنية :

تعريف الأنصاص القرآنية:

عندما يريد الباحث أو الطالب أن يتعرف على معنى الأنصاص القرآنية ومدلولها، ويبحث عن معناها في بطون وأمهات الكتب الخاصة بهذا العلم لا يجد إلا تعريفا واحدا علميا – حسب علمي – هو للدكتور عبد العزيز العيادي العروسي في كتابه الأنصاص القرآنية حيث عرّفه بأنه:((مصطلح متداول بين أرباب القراءات في المغرب للتعبير عن مجموعة من القواعد التي تؤطر الكلمات الخارجة عن القياس في رسمها أو ضبطها أو في كيفية أدائها. كما تؤطر هذه الأنصاص الكلمات المتشابهة في التقديم والتأخير والحذف والإضافة مع التنصيص على أماكن وجودها في القرآن الكريم إما بواسطة السور أو بواسطة الأحزاب والأرباع والأثمان)) [(23)].

وكلمة الأنصاص كمصطلح تداوله أهل المغرب على كلام دكتورنا العروسي هل يقصد بذلك أهل المغرب العربي أم المغرب الأقصى فقط، وإن كان هذا الأخير فيه نظر وكلام، وتلمسان لها شأن في هذا الموضوع فلماذا أُخرِجت؟ وهل الأنصاص القرآنية مصدرها المغرب فقط و بالتالي تعتبر البلد الإسلامي الوحيد الذي قعّد لهدا التراث و أصّل له، في حين و نحن صغار نتذكر جيدا مشايخنا الحفاظ في تلمسان يحفظون الآلاف من الأنصاص

[22]- غانم قدوري الحمد: ص 177.

[23]- العيّادي العَروسي: ج1، ص 99.

القرآنية في شتى المواضيع و لا يزالون ، فالجزم بقولها مغربية فقط فيه نظر و يجب التحقيق في هذا الأمر.

وقد كان لنا تعريف خاص في كتابنا حيث عرفنا الأنصاص بأنها((عبارة عن قواعد ونصوص تعريفية توجيهية للكلمات القرآنية التي يمكن الخطأ فيها عند كتابتها أو قراءتها أو وجود شبه لها، فتُرسم وتضبط ويُعرف كيفية أدائها ومعرفة متشابهها من خلال هذه القواعد وبطريقة سهلة، مع الإشارة إلى أماكن وجودها في القرآن الكريم))[24]. وفيما يلي الحديث عن تاريخها و أصلها .

- **تاريخ الأنصاص القرآنية :**

إن الكلام عن تاريخ الأنصاص القرآنية ينقلنا إلى حديث الدكتور العيادي العروسي في كتابه الأنصاص، فقد نقل عن الأستاذ سعيد إعراب كلاما يتحدث فيه عن تاريخ الأنصاص والذي على حسبه يُرجع أصلها إلى بلاد الأندلس في حدود المائة السادسة للهجرة[25] حيث جاء في برنامج شيوخ الرعيني أنّ أبا الحسن علي بن محمد الرعيني الإشبيلي في معرض حديثه عن شيخه المقرئ أبي علي محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالزبار أنّه أنشده:

حكيم عليم في التلاوة خمسة فلا تسمعن من قال سادس

ففي سورة الأنعام منها ثلاثة وفي الحج حرف ثم في النمل خامس[(26)].

وبالتالي على حسب هذا الرأي فأصلها يرجع إلى الأندلس، أما عن تاريخها وواضعها في المغرب العربي وبتلمسان على وجه الخصوص فلا يعرف بالضبط من هو ومتى بدأ التدوين فيها، فكلّ من تسأله عن أصلها وواضعها فيقول لا أعلم إنما ورثناها على مشايخنا، ولكن على العموم فهي تعد تراثا دينيا وثقافيا باعتبار ما تحتوي عليه من ألفاظ قرآنية وألفاظ عامية ولا تعتبر فقط تراثا شفويا بل هي علم يعزز بالكتابة و التدوين و مثال ذلك كتاب الأنصاص القرآنية (رواية ورش بالسند المتصل) لعبد العزيز العيادي العروسي وهو عبارة عن رسالة دكتوراه أول دراسة أكاديمية لهذا الفن إذ تحصل بين يديه أزيد من 6000 نص انتخب منها 1200 وقد درسها دراسة علمية.

---

[24]- بن علال حمزة : ص49.

25- سعيد اعراب : الميثاق ، عدد 165، فبراير 1973م. نقلا من كتاب : العيّادي العَروسي: ص 100.

[26]- العيّادي العَروسي: ص 100.

أما عن التدوينات الخاصة بالفقهاء و الطلبة فما أكثرها منها ما هو مدون عندهم في مذكرات و منها ما هو محفوظ في الصدور ، و يجب التنويه هنا إلى أن هذا الحفظ مسجل على عدة مواضيع مختلفة تناولتها الأنصاص القرآنية و لها في ذلك مصدر ، وهذا ما سنراه في العنصر الموالي.

- مواضيع الأنصاص القرآنية ومصادرها:

أمّا مواضيع الأنصاص القرآنية فيمكن تقسيمها إلى ستة أقسام هي على النحو التالي:

- أنصاص تتناول الرسم القرآني.
- أنصاص تتناول ضبط الكلمات القرآنية.
- أنصاص تتناول الوقف والابتداء.
- أنصاص تتناول كيفية الأداء والتجويد.
- أنصاص تتناول الكلمات المتشابهة في القرآن.
- أنصاص تتناول أدبيات القراءة والتعليم والمعاملات التعليمية.

وهناك نوعٌ آخر صيغ على شكل أَلْغاز ونُكت ومُستملحات[27]

وفيما يلي بعض الأنصاص القرآنية الخاصة بالرسم القرآني وعلم الضبط والمتشابه :

✓ **في الرّسم القرآني:**

وعوضــنَّ الألـــف بالواو منقلبا ثمــانيةٌ قال الراوي
مشكَــوة والنجَـــوة مع منَوة كذا الربَــوا وحرف الغَدَوة
وكيفمــا الحيَوة والصلَــوة كيــف أتت وأختها الزكَوة
ما لم تكن بمضمر متصلة فألف بالثبت خذها فائدة[28]

ونظمها الخراز[29] بقوله:

وهاك واوا عوضا من ألف قد وردت رسما ببعض أحرف
والــواو في منَــوة والنجَــوة وحــرفي الغدَوة مع مشكَــوة
وفي الربَــوا وكيفمــا الحيَوة أو الصلَــوة وكــذا الزكَوة

[27]- المصدر نفسه : ص 100- 101.

[28]- المصدر نفسه : ص 145.

[29]- محمد الشريشي: ص36.

مالـم تُضِفهُن إلى ضميـــر فألــف والثبـت في المشهور

وبعضهم في الروم أيضا كتبــا واوا بقولـه تعــالى مــن ربا

مع ألــف كرسمهــم ســواه كـــــذا امــرؤا وكلهــم رواهُ

معنى هذا النص أنه بيان لضبط الكلمات التي تنقلب فيها الألف واوا، وهي معدودة في ثمانية كلمات : مشكاة، والنجاة،و الغداة، ومناة، والربا، والحياة، والصلاة، والزكاة، ما لم تكن مضافةً إلى ضمير، فإن كانت مضافة نحو حياتنا وصلاتهم، فتثبت فيها الألف و لم يرد منها إلا هاتين الكلمتين.

- قولهم في رسم كلمة "رحمت"المبسوطة (المطلوقة): "وَوَقٍ كَفَقٍ"

أما شرحها فهي كالتالي :

- **الواو الأولى**: قوله تعالى: ((**و اذكروا الله في أيام معدودات .....أولئك يرجون رحمت الله.**)) الآية 216 أي الكلمة الأولى توجد في سورة البقرة حزب ((و اذكروا الله)).

- **الواو الثانية**: قوله تعالى: ((**و إذا صرفت أبصارهم.....إن رحمت الله قريب من المحسنين**)) الآية 55 أي الكلمة الثانية توجد في سورة الأعراف نصف ((و إذا صرفت)) .

- **القاف**: قوله تعالى: ((**قالو أتعجبين من أمر الله رحمت**.....)) الآية 72 أي الكلمة الثالثة توجد في سورة هود ثمن((قالوا أتعجبين)) .

- **الكاف**: قوله تعالى: ((**كهيعص ذكر رحمت ربك**..))الآية 01 أي الكلمة الرابعة توجد في سورة مريم، بداية سورة مريم.

- **الفاء**: قوله تعالى: ((**فأقم وجهك.....فانظر إلى أثر رحمت الله.**)) الآية49 أي الكلمة الخامسة توجد في سورة الروم نصف ((فأقم وجهك)).

- **القاف**: قوله تعالى: ((**قل أولوجئتم..... أهم يقسمون رحمت ربك**)) الآية 31أي الكلمة السادسة توجد في سورة الزخرف حزب ((قل أولوجئتكم))، والكلمة السابعة توجد أيضا في نفس السورة والحزب قوله تعالى:((**ورحمت ربك خير مما يجمعون**)) الآية 31، وبالتالي "فرحمت" في القرآن الكريم معدودة في سبعة مواضع وما عداها فهي مربوطة .

ونظمها الخراز بقوله [30]:

وهــاك ما لظاهر أضفتا من هــاء تأنيـــث وخط بالتــا

ورحمة بالتاء في البكر وفي سورة الأعراف ونص الزخرف

معــا وفي هود أتت ومريما والـــروم كل باتفاق رسما

✓ **في علم الضبط:**

- إذا ما تعرف تضبط اهدنا ما تصل بنا.
- في ضبط كلمة «لأهب»

لي هب صفتــها يا طالبــا ويــاؤها على الألــف ركــبا

ونقطة عن اليمين والشمال والنصبة يا أخي جرَ بها العمل

ونظمها الخراز بقوله[31]:

وهــاك ما زيد ببعض أحرف من واو أو من ياء أو من ألف

إذا يكونا لأهب ونونا .....

- قولهم في كلمة "ترابا" المحذوفة :

احــذف تــرابا يــا مــاما و إن تعــجــب بــل ادارك و عــم

بمعنى كلمة ترابا في القرآن محذوفة في ثلاثة مواضع في سورة الرعد الآية 05 قوله تعالى : ((**و إن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا إنا لفي خلق جديد**)). و سورة النمل الآية 69 قوله تعالى: ((**بل ادارك علمهم في الأخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون و قال الذين كفروا إذا كنا ترابا و ءاباؤنا أئنا لمخرجون**)) و سورة عم الآية 40 قوله تعالى : ((**يا ليتني كنت ترابا**))

[30]- المصدر نفسه : ص 40.

[31]- المصدر نفسه: ص 32.

✓ **في المتشابه:**

أنزع فرعون و ثم وبه من طه وطسم في الأعراف ألقه
أنزع إذا وابعث من الأعراف كذا بسحره بلا خلاف
أتأتون إنكم في الأعراف من غير شك و لا خلاف
أتأتون في النمل لا إشكال أئنكم لتأتون الرجال
إنكم أئنكم في العنكبوت احفظهما يا طالبا قبل أن تموت[32]

شرح البيت : ((أنزع فرعون و ثم وبه من طه وطسم في الأعراف ألقه))

بمعنى احذف كلمة "فرعون" و كلمة "ثم" و "به" من سورة طه و طسم وأثبتها في سورة الأعراف، وذلك في التشابه الموجود بينهم في قصة فرعون مع موسى وبالضبط الخطاب الذي جرى بين فرعون وقومه، ففي سورة الأعراف يقول تبارك وتعالى: ((**قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم و أرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين**)) الآية: 123/122،أما في سورة طه فهذه الكلمات محذوفة يقول الله تعالى : ((**قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم و أرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا و أبقى**))الآية: 70،وفي سورة الشعراء (طسم) أيضا يقول المولى: ((**قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم و أرجلكم من خلاف و لأصلبنكم أجمعين**))الآية: 49/48.

شرح البيت : ((أنزع إذا وابعث من الأعراف كذا بسحره بلا خلاف))

بمعنى كلمة "إذا" و كلمة "ابعث" و " بسحره" محذوفة في سورة الأعراف و ثابتة في غيرها قال تعالى في سورة الأعراف:((**قال نعم و إنكم لمن المقربين**))الآية : 113، وقوله: ((**قالوا أرجه و أخاه و أرسل في المدائن حاشرين**)) الآية 110، و قوله:((**يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون**))الآية : 109، أما في سورة الشعراء فكلمة "إذا" ثابتة في قوله تعالى: ((**قال نعم و إنكم إذا لمن المقربين**)) الآية 41، و كلمة "ابعث" ثابتة و أبدلت بكلمة " أرسل" في سورة الأعراف في قوله تعالى: ((**قالوا أرجه و أخاه و ابعث في المدائن**

[32]- أخذت النص من شيخي سي المغربي بتاريخ 01 مارس 2023.

حاشرين))الآية : 35، و كلمة "بسحره" فكذلك ثابتة في قوله تعالى: ((**يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فمادا تأمرون**))الآية : 34، كلها في سورة الشعراء.

شرح البيت : ((أتأتون إنكم في الأعراف من غير شك و لا خلاف))
((أتأتون في النمل لا إشكال أئنكم لتأتون الرجال))
((إنكم أئنكم في العنكبوت احفظهما يا طالبا قبل أن تموت))

بمعنى التشابه الحاصل في كلمة "أتأتون" و "إنكم" و "أئنكم"في قصة فرعونمبينة كالتالي :

في سورة الأعراف " أتأتون إنكم " في قوله تعالى : ((**و لوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون**)) سورة الأعراف الآية : 79/80.

وفي سورة النمل " أتأتون أئنكم "في قوله تعالى: ((**و لوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة و أنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون**)). سورة النمل الآية :56/57

وفي سورة العنكبوت "إنكم لتأتون أئنكم" في قوله تعالى: ((**و لوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال و تقطعون السبيل**)) سورة العنكبوت الآية: 27/28.

هذه بعض الأنصاص الخاصة بعلم الرسم والضبط والمتشابه مع شرحها مع أنه يوجد الكثير منها فقط تحتاج إلى من يدونها ويشرحها وهي تعد بالآلاف، أما بالنسبة لمصادر ها فهي ترجع إلى المصادر التالية:

- قريحة الفقهاء المتضلعين في القران الكريم رسما وضبطا وتجويدا.
- المنظومات الأصولية الثلاث.(الشاطبية ، مورد الظمآن، الدرر اللوامع)
- الحذفيات و الثبتيات المتعددة الجنسيات.
- فتاوى العلماء المتصدّرين للقراءات .
- الأخذ المباشر من الفقهاء المزاولين لمهنة التدريس[33].

[33]- ينظر: العيّادي العَروسي:: ص 101.

وأظن أنها كلها تجتمع فيما يذكره الفقيه والشيخ الحافظ للقرآن المتضلع في رسمه وضبطه فهو المصدر الأول في ضبط الأنصاص القرآنية وكتابتها وسردها على طلبته بأسلوبه وألفاظه العفوية.

أما عن المكان الذي تكتب فيه الأنصاص فغالبا ما تكتب على اللوح ويذيلون خاتمته بأنصاص يخص الربع أو الثمن المكتوب على اللوح إن وجد فيه كلمة قرآنية تريد التوضيح والبيان أو أثناء تصحيح الفقيه اللوح قد يجد خطأ في كتابتها فيقوم بإبراز الخطأ بقلم غليظ ويحاول أثناء السلكة أن يستعرض نظائر هذه الكلمة والأماكن الموجودة في القرآن اتفاقا أو اختلافا فيكتب النص في نظم سلس بسيط قريب من عقلية الطالب كي يفهمها وغالبا ما يفتتح النص بقوله: "هاك يا طالبا" "خد يا طالبا " فيبين له الكتابة الصحيحة لهذه الكلمة ونظائرها في القرآن، والهدف من ذلك كله أن تعين الطالب على ضبطها ورسمها أو حفظ متشابهها .[34] وهذا هو الهدف من العناية بالأنصاص القرآنية التي موضوعها الكلمة القرآنية، كما يوجد بعض الأهداف الأخرى سنراها في العنصر الموالي.

- الهدف من الأنصاص القرآنية:

ويمكن إبراز الأهداف المتوخاة من الأنصاص القرآنية باعتبارها وسيلة من وسائل الحفاظ على الرسم العثماني في جملة من النقاط هي كالآتي[35]:

- المحافظة على تواتر الرسم العثماني الذي يحمل في طياته مواضيع الإعجاز ثم الحفاظ على القراءة الصحيحة المنقولة عن السلف الصالح رضوان الله عليهم، وبهذين العنصرين يكتمل حفظ القرآن الكريم رسما ولفظا.

- تبيان كيفية رسم الكلمات حسب ورودها في القرآن الكريم.

- تثبيت الآيات المتشابهة التي يصعب حفظها وتذكرها.

- تأطير الكلمات المتشابهة في التقديم والتأخير والحذف والإثبات والضبط.

- تأطير الكلمات الخارجة عن القياس في رسمها أو ضبطها أو كيفية أدائها.

[34] المصدر نفسه: ص 102.

[35] ينظر: مقال الكتروني: محمد لبويهي، موقع ركراكة: رابط:http://ragragua.blogspot.com/2016/07/blog-post_96.html

- جعل الحافظ لكتاب الله -عز وجل- في منأى عن الوقوع في الخطأ إن على مستوى الرسم أو الأداء.

- الفرق بين الأنصاص المغربية والتلمسانية

يجب التنبيه هنا إلى أن الفرق بين الأنصاص المغربية و التلمسانية لا يختلف كثيرا رغم خصوصية كل واحد من المدرستين في نثرها و كتابتها وحفظها فالهدف من النص واحد ألا وهو حفظ الرسم العثماني وهي مزية المغاربة والتلمسانيين، وبعض الأحيان قد تجد النص متشابها وهذا راجع -والله أعلم- إلى بيئة كل واحد من المدرستين وإن كان الأمر لا يختلف كثيرا فالبيئتان واحدة لقربهما جغرافيا وفكريا واجتماعيا إضافة إلى الإرث العلمي والثقافي الذي كانت تزخر به تلمسان وفاس قديما،و تلك الزيارات العلمية المتبادلة بين الطُلبة (الفقهاء) ، وفيما يلي أحد الأنصاص القرآنية التي تبرز ذلك:

سأل الفقيه الجليل أبو عبد الله سيدي محمد التهامي بن الطيب يوما من طرف الطلبة عن كيفية كتابة كلمة "ملئه" فأجاب رحمه الله :

يا غادِي للغَرب لمكنَاس بلِغ سَلامي طلب أهل فَاس

وقُل لهُم ملائه قدْ حُولت همزته و تحتَ ياء ادخلت

ودارةُ فوق ألفُ اللام وجدتها في الصحرَاء خُذ نظامِي[36]

أما أهل تلمسان فيقولون:

يا الغــادِي لِلغَربْ ومكْناسْ بلّــغ سَــلامي لأهْل فاسْ

وقُل لَهم مَلائه قدْ حُوّلت وهمْزَةٌ تحْتَ يَاءٍ قدْ رُسمت

ودارةُ المزيدِ فــوْقَ الألِف هَكـذا يُضبطُ كلُّ عَـارِف

يثبت هذا النص الخلاف الجزئي في كيفية ضبط هذه الكلمة نصيا مع أنهم اتفقوا في ضبطها بعدما كانت تضبط الهمزة فوق الألف والياء زائدة وهي على مذهب الداني والشاطبي ثم ضبطت تحت الياء التي هي صورة الهمزة والألف زائدة وهو مذهب ابن الجزري وهو خلاف في ضبط الهمزة لا غير دون رسمها.

[36]- ينظر: مقال الكتروني:لمحمد لبويهي ، موقع ركراكة الرابط : http://ragragua.blogspot.com/2016/07/blog-post_3.html

يقول ابن الجزري في ضبط هذه الكلمة: ((و أما رسم (ماية ومايتين وملاية وملايهم) بالألف قبل الياء فإن الألف في ذلك زائدة كما قدمنا و الياء في صورة الهمزة قطعا . والعجب من الداني والشاطبي ومن قلدهما كيف قطعوا بزيادة الياء في (ملايه وملايهم) فقال الداني في مقنعه وفي مصاحف أهل العراق وغيرها (و ملايه و ملايهم) حيث وقع بزيادة ياء بعد الهمزة قال كذلك رسمها الغازي بن قيس في كتاب هجاء السنة الذي رواه عن أهل المدينة قال السخاوي وكذلك رأيته في المصحف الشامي (قلت) وكذلك في سائر المصاحف ولكنها غير زائدة بل هي صورة الهمزة و إنما الزائدة الألف و الله أعلم)) .[37]

بعد هذه الإطلالة المفصلة عن ماهية الأنصاص القرآنية يقودنا الحديث بعد ذلك عن منهجية المدرسة التلمسانية في تعليمها وتحفيظها ثم عن أهم سبل الالتزام بها وحفظها كوسيلة للحفاظ على مرسوم المصاحف.

2.4الأنصاص القرآنية و سبل الالتزام بها :

- منهجية المدارس القرآنية التلمسانية في تعليم الأنصاص القرآنية:

إن الحديث عن منهجية تعليم الأنصاص القرآنية في المدرسة التلمسانية يقودنا إلى الحديث أولا عن الطريقة التي يُحفّظ بها القرآن الكريم- لأنه من خلالها تحفظ الأنصاص القرآنية- وهي طريقة تعتمد على اللوح والمداد والقلم مع إملاء الشيخ للطالب وتسمّى (الفتيا)، وذلك عندما يجتمع الطَلبة حول الشيخ (الفقيه) ويملي عليهم كي يكتبوا أثمانهم أو أرباعهم فيبدأ الطالب تلو الآخر برأس الثمن أو الربع فيملي عليه الشيخ (الفقيه) ويكرر الطالب تلك الكلمة القرآنية، وهكذا كل طالب والثمن الذي هو فيه أو الربع ليخلص في الأخير إلى إتمام ثمنه أو ربعه كتابة، ثم يسلك له الشيخ اللوحة ويكرمه ببعض الأنصاص القرآنية الواردة في ذلك الثمن أو الربع ويكتبها له في آخر اللوحة مع (رأس الربع أو الثمن الذي كتب على اللوحة والذي سيحفظ بعد)ثم يقرأ معه اللوحة ويصحح له في القراءة إن أخطأ ، وبعد ذلك يذهب لحفظ ما كتبه على أن يحفظ القديم والجديد ثم يقرأ ما حفظه على شيخه (يعارض) وإن اطمأن شيخه لحفظه يأمره بمحوها وإن لم يطمئن يقول له احفظها جيدا(طيبها) فيمحو لوحته بالصلصال والماء ويهرق ذلك كله في مكان بعيد عن

[37]- محمد بن الجزري : ج1 ، ص 333.

النجاسة والأقدار لأنه قرآن، وفي الأخير يجد الطالب نفسه حفظ الربع أو الثمن الذي كتبه مع معرفة رسمه و ضبطه جيدا مستدلا على بذلك ببعض الأنصاص القرآنية .

ومن المشايخ الذين اتصلت بهم ولهم دراية تامة بالتعليم القرآني وبالأنصاص القرآنية الشيخ محمد طياش المسمى (سي المغربي) هذا الرجل الذي له باع طويل في التعليم القرآني في تلمسان وعنايته وحفظه للأنصاص القرآنية وتخريجه لكثير من حفظة القرآن الكريم يتحدث عن أهمية الأنصاص وحفظها و تعليمها للطلبة فكان لي معه هذا الحديث الشيق، والنقطة الأساسية التي أخذتها منه وهي أنه لما كان القرآن محفوظا في الصدور وأُنزل من اللوح لابد أن يحفظ في الصدور ويحفظ من اللوح (يقصد هنا الطريقة التقليدية التي يحفظ بها القرآن) وقياسا عليه فالأنصاص القرآنية كذلك لابد أن تحفظ في الصدور وعيب على الطالب أن يقرأها في السطور يقصد بذلك تدوينها في الكراس دون أن يحفظها، وهنا نوه الشيخ -حفظه الله- إلى أنه لا يعني عدم تدوين الأنصاص في الكتب والأوراق بل لابد أن تدوّن وإلا سيندثر هذا التراث كما دوّن القرآن في بداية الأمر فحفظ في الصدور والسطور وبعد ذلك دون كله في كتاب وهذا من وعد الله بحفظه، ولكن أثناء التعليم والتكوين لابد أن يعلّمها الفقيه من حفظه، فالنص لا يوجد في الكتب بل يوجد في الصدور.

يقول: ((**النص في الراس والخسارة في الكراس**)) ويقول: ((**مول النص لص**))فهي تراث شفوي يتداول عن طريق الذاكرة والحفظ كما أنه معزّز بالكتابة والتدوين.

وعن الطريقة التي يعلّم بها الطالب الأنصاص القرآنية يتحدث قائلا: ففي السلكة الأولى يحفظ الطالب القرآن بلا أنصاص في اللوح بالطريقة التقليدية سواء كان صغيرا أو كبيرا، وفي السلكة الثانية يتعلّم الطالب الأنصاص حيث يكتبها في آخر اللوحة إذا وجد في الثمن الذي يحفظه كلمة قرآنية تحتاج إلى بيان رسمها أو ضبطها أو لها شبه لها أو يفاجأ بخطأ فيقوم بإبراز ذلك الخطأ وما إلى ذلك فيحفظها الطالب مع حفظه اللوحة ويتذكرها جيدا، و لا يغفر الفقيه للطالب إن تقاعس أو أخطأ الطالب في حفظ النص، فإن حدث ذلك يضع له القلم تحت ذقنه و يرفعه إلى الأعلى تهديدا و تخويفا له على أن لا يعيد الخطأ مرة أخرى، وإن لم يضربك الفقيه يوبخك وتوبيخه تهتز له الجبال وللفقيه غاية في ذلك بطبيعة الحال ألا وهي خدمة الطالب وتكوينه يقول ((**كيف يخافك من لا يذوق سمك**)) يقصد هنا طريقة تعليمه وحرصه الشديد في بعض الأحيان على الطلبة.

وعن مصدر الأنصاص القرآنية يقول الشيخ بأنه أخذها على شيخه المغربي مولاي عبد الله العلمي- رحمه الله - وهو أخذها على شيخه وهكذا وأنه لا بد أن تأخذ الأنصاص من أفواه المشايخ كما يؤخذ القرآن الكريم و تكرر مثل ما يكرر القرآن[38].

وهذا الشيخ سي المختار -حفظه الله- وهو رجل قرآن كما يقال (مهراز) يحفظ القرآن جيدا كما يحفظ الأنصاص وقد تخرج على يديه الكثير من الطلبة وأنا من حسناته يوافق الشيخ المغربي في حديثه عن الأنصاص حيث يقول مؤيدا له في حفظ الأنصاص: ((**من لم يجد دفتره في جيبه لم تجد الحكمة في عقله**)) وقد وافقه في الطريقة التي يحفظ فيها الأنصاص و يدعو الطلبة إلى الاهتمام بها أكثر.[39]

كانت هذه أمثلة عن منهجية تحفيظ القرآن الكريم بالطريقة التقليدية في المدارس التلمسانية ومنهجيتهم كذلك في تعليم الأنصاص القرآنية و هي وسيلة للحفاظ على الرسم العثماني لا غير وتعد منهجية ناجعة لسهولة استحضارها بعد حفظها خاصة عندما تكون باللغة العامية ،كما أننا لا ننسى أن الطالب في تلمسان لا يكون حقا طالبا (فقيها) إلا بعد حفظه للقرآن الكريم مع حفظه الجيد للأنصاص ومسائل الرسم والضبط. وفيما يلي أهم السبل و الطرق التي يمكن من خلالها الالتزام بهذا التراث الشفوي العلمي وتوريثه للأجيال.

- سبل الإلتزام بالأنصاص القرآنية :

وأنا أتحدث مع شيخي عن المكانة التي وصلت إليها الأنصاص القرآنية حاليا ومكانتها العلمية بين الطلبة والمدارس القرآنية ردا قائلا : ((**مشاو ماليها**)) يقصد بذلك قلة الهمة بها وعدم الاعتناء بها من طرف المشايخ والطلبة إلا القلة التي ما زالت قابضة عليها و تود توريثها للأجيال، وعن سبل الالتزام بها مستقبلا قصد الاعتناء بهذا التراث العلمي رد قائلا[40]:

لابد من إقامة ندوات علمية نجمع من خلالها معلمي القرآن والمهتمين بهذا التراث ونتبادل المعارف ونتحاور وأن لا يتكبر بعضنا على بعض، وأن يأخذ المشايخ الصغار الذين هم في مستهل تعليمهم للقرآن الكريم من المشايخ الذين لهم قدم راسخة في التعليم القرآني وأن نأخذ القليل من هذا التراث ونعتني به أفضل من أن نترك الكل، وبين هذا و ذاك لابد

[38]- تمّ تلقي هذه المعلومات من طرف الشيخ عن طريق المقابلة الشخصية بتاريخ 01 مارس 2023.

[39]- تمّ تلقي هذه المعلومات من طرف الشيخ عن طريق المقابلة الشخصية بتاريخ 01 مارس 2023.

[40]- تمّ تلقي هذه المعلومات من طرف الشيخ عن طريق المقابلة الشخصية بتاريخ 01 مارس 2023.

على معلمي القرآن أن يجلسوا للتعليم و أن يحافظوا على الطريقة التقليدية في حفظ القرآن الكريم، وأن نحبّب للطلبة هذا الفن وإن دعت الحاجة إلى تغيير الطريقة في ذلك، والهدف من ذلك خدمة الأنصاص والمحافظة عليها قبل أن تذهب بذهاب المشايخ -حفظهم الله-، وللتذكير فالمحافظة على هذا التراث هو المحافظة على القرآن الكريم رسما وضبطا ولعل هذا المقال أحد السبل واللبنات التي نسعى من خلالها للمحافظة على هذا التراث العلمي الشفوي.

وأنا من جهتي أزين هذا المقال ببعض السبل التينراها سببا في الحفاظ على الأنصاص القرآنية وناجعة - بإذن الله- أذكر منها :

- لابد من استحضار نية الإخلاص و العبودية لله -عز وجل- في خدمتنا لكتاب الله .

- المحافظة على الطريقة التقليدية في تحفيظ القرآن الكريم .

- التكوين العلمي والحفظ الجيد للقرآن الكريم بالنسبة لمعلمي القرآن الكريم.

- الدراية التامة بماهية الأنصاص القرآنية و دورها الكبير في الحفاظ على رسم المصحف و ضبطه.

- حفظ الأنصاص القرآنية كما يحفظ القرآن.

- الجلوس اليومي لتعليم القرآن و أنصاصه لطلبة العلم .

- عقد دورات علمية تختص بموضوع الأنصاص القرآنية بين معلمي القرآن و المهتمين بهذا الفن ودراستهاو بيان الجديد فيها .

- الاهتمام بالمشايخ المتصدرين لهذا الفن و العمل على النهل من علمهم .

- اهتمام الجهات الوصية بهذا الفن والعمل على توسيع دائرة العمل به في المدارس القرآنية، كجعله مثلا مادة تدرس في معاهد تكوين الأئمة وإدخاله في جو المسابقات العلمية الخاصة بالتجويد و حفظ القرآن و المتون .

- عقد ملتقيات علمية وطنية تعرف بهذا الفن لطلبة العلم و للمجتمع.

- اهتمام المجتمع المدني خاصة الجمعيات الثقافية والعلمية بهذا الفن من خلال إجراء ندوات علمية تعريفية و تعليمية، وتدريسه في مدارسها القرآنية التابعة لها.

خاتمة :

بعد معرفة ماهية الأنصاص القرآنية وأهم سبل الالتزام بها كتراث شفوي يتداول عن طريق الذاكرة ومعزز بالكتابة و التدوين، نخلص إلى :

- أن الأنصاص القرآنية لها دور كبير في الحفاظ على مرسوم المصاحف و ضبطها، والحفاظ عليها هو الحفاظ على القرآن الكريم .

- الدور الفعال للفقهاء (المشايخ) الذين يعتبرون أحد مصادر هذه الأنصاص وأعمدتها فحفظوها ودونوها كما يحفظ القرآن ويدون فلهم الفضل بعد الله عز وجل.

- يمتاز المغرب العربي وبالأخص الجزائر (الغرب الجزائري) والمغرب الأقصى باهتمامه الكبير بهذا التراث مند عقود فأصله على أرجح الأقوال بلاد الأندلس خلال القرن السادس هجري وعرف بكثرة (بغرب المغرب العربي) بعد قلة الاهتمام بالمنظومات العلمية كمورد الظمآن والعقيلة، كما أن مواضيعه ومصادره متنوعة وأهدافه تتماشى وهدف المنظومات العلمية التي هي المحافظة على الرسم العثماني .

- انعدام هذا الثراث– حسب علمي – في المشرق العربي الإسلامي سواء في القدم أو في العصر الحديث ، فظهوره لم يتخط الحدود الجغرافية لبلاد المغرب الإسلامي.

- للمدرسة التلمسانية إرث في هذا المجال مند عقود ومنهجية خاصة في تعليم وتحفيظ الأنصاص يجب الاعتناء به والتمسك به قصد توريثه للأجيال.

- الطريقة الناجعة في تعليم الأنصاص القرآنية وحفظها هي الطريقة التقليدية التي تعتمد على اللوح والمداد وأقلام القصب، ولا نرى مانعا من استعمال طرق أخرى تتماشى والغاية المنشودة من تعليم هذا التراث.

- أهمية الحفاظ على طريقة حفظ الأنصاص القرآنية التي تعتمد على الذاكرة والحفظ، كما تساهم الكتابة والتدوين في هذه العملية على شرط أن تحفظ في السطور والاعتناء أكثر على الذاكرة و الحفظ كي يبقى لهذا التراث هيبته و أصله.

- ضرورة مراعاة الفئة المستهدفة والمستوى العلمي للطلبة في عملية تلقين الأنصاص مع الحرص على تكرارها كما يكرر القرآن الكريم فإن في ذلك تثبيتا لهذا التراث واستمرارية له عبر الأجيال.

- أهمية تفعيل و تجسيد أهم السبل التي كتبت في هذا البحث والالتزام بها من طرف الفقيه والطالب والجهات الوصية بالنسبة للسبل التي تختص بها قصد الحفاظ على هذا التراث العلمي والعمل على توريثه للأجيال الصاعدة وبالتالي يحفظ رسم المصحف وضبطه ويحفظ من خلاله حفاظه وحفاظ أنصاصه.

قائمة المصادر والمراجع

- **محمد عبد العظيم الزرقاني:** مناهل العرفان في علوم القرآن،حققه وشرح غريبه وعلّق عليه، أحمد عيسى المعصراوي، الطبعة الثالثة، مصر ، دار السلام ، 1431هـ- 2010م.

- **أبو القاسم سعد الله:** تاريخ الجزائر الثقافي، الطبعة السادسة، الجزائر، دار البصائر، 2009م.

-**أبو عبد الله محمد بن عبد الله التنسي:** الطراز في شرح ضبط الخرّاز، تحقيق: د. أحمد بن أحمد شرشال، الطبعة الأولى، السعودية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1420هـ.

- **أبو عبد الله محمد بن عمر الملالي:** المواهب القدوسية في المناقب السنوسية،تحقيق وتعليق: علال بوربيق،د.ط، الجزائر، دار كردادة، 2011م .

-**أبو عبد الله محمد بن مريم المديوني:** البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: محمد بن أبي شنب، د.ط،الجزائر، 1326هـ/1908م .

- **أحمد بن رابح الطالب:** أرجوزة مجموع النصوص القرآنية، تعليق: الطالب عبد الرحمان، مكتوبة بالآلة الراقنة.

-**بن علال حمزة:** جهود علماء تلمسان في علوم القرآن، الطبعة الأولى ، تلمسان ، دار كنوز للإنتاج و النشر و التوزيع ، 1440هـ -2019م.

-**خالد مرزوق والمختار بن عامر:** مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان آثار ومواقف، د.ط.ت.

- **سعيد إعراب:** القرّاء والقراءات بالمغرب،الطبعة الأولى،بيروت- لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1410هـ/1990م.

-**طالب عبد الرحمان بن أحمد التجاني:** الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900إلى 1977م، د.ط،الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م.

- **عادل نويهض:** معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، الطبعة الثانية،بيروت- لبنان،مؤسسة نويهض الثقافية، 1400هـ/1980م.

- **عبد الرحمان بن خلدون:** تاريخ ابن خلدون، د.ط، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، د. ت.

-**عبد الرحمان بن خلدون:** مقدمة ابن خلدون،تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، الطبعة الأولى، 1425هـ-2004م.

-**عبد العزيز العيّادي العَروسي:** الأنصاص القرآنية (رواية ورش بالسند المتصل)، الطبعة السادسة، 2008م.

- **عبد الهادي حميتو:** قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، مقوماتها البنائية ومدارسها الأدائية إلى نهاية القرن العاشر هجري، الطبعة الأولى،المملكة المغربية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1424هـ - 2003م.

- **عبد الواحد بن عاشور** : فتح المنان المروي بمورد الظمآن ، تحقيق : د. عبد الكريم بوغزالة،الطبعة الأولى، دار ابن الحفصي ، 1436هـ/2016م.

- **غانم قدوري الحمد** : أبحاث في رسم المصحف و ضبطه ، الطبعة الأولى، المملكة الأردنية الهاشمية، منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم ، 1439هـ - 2018م .

- **غانم قدوري الحمد:** رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية،الطبعة الأولى،اللجنة الوطنية العراق، 1402هـ/1982م.

- **محمد بن الجزري:** النشر في القراءات العشر، الطبعة الأولى، ، بيروت لبنان،دار الفكر، 1435هـ -2014م.

- **محمد بن محمد الأموي الشريشي:** مورد الظمآن في رسم القرآن، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، (د.ط.ت).

- **محمد شملول:** إعجاز رسم القرآن و إعجاز التلاوة ، الطبعة الأولى ، مصر ، دار السلام ، 1427هـ- 2006م.

-**محمد لبويهي:** "خصوصية الأنصاص القرآنية ودورها في ضبط الرسم العثماني عند المغاربة"، موقع ركراكة: الرابط:http://ragragua.blogspot.com/2016/07/blog-post_96.html

- **محمد لبويهي::**" أنصاص قرآنية" ، موقع ركراكة الرابط :http://ragragua.blogspot.com/2016/07/blog-post_3.html

- **منّاع القطان:** مباحث في علوم القرآن، الطبعة الأولى، ، دمشق – سوريا،مؤسسة الرسالة ، 2011م.

- **المقابلات الشخصية .**